وانثالت عليه الاموية وجاءه جدار بن عمرو المذحجي من اهل مالقة فكان بعد ذلك قاضيه في العساكر وجاءه ابو عبيدة حسان بن مالك الكلبي من اشبيلية فاستوزره وانثال عليه الناس ولم يلبث ان قوي امره مع الساعات فضلا عن الايام وامده الله بقوة عالية فكان دخوله قرطبة بعد ذلك بسبعة اشهر وكان خبر دخوله للاندلس قد صادف صاحبها يوسف الفهري بالثغر وقد قبض على الحباب الزهري الثائر بسرقسطة وعلى عامر العبدري الثائر معه فبينما هو بوادي الرمل بغربي من طليطلة وقد هم بضرب عنق عامر العبدري وابن عامر برأي الصميل اذ جاءه قبل ان يدخل رواقه رسول يركض من عند ولده عبد الرحمن بن يوسف من قرطبة يعلمه بامر عبد الرحمن ونزوله بساحل جند دمشق واجتماع الموالي المروانية اليه وتشوف الناس لامره فانتشر الخبر في العسكر بوقته وشمت الناس بيوسف لقتله القرشيين عامرا وابنه وحذره بهدهما فسارع عدد كثير الى البدار لعبد الرحمن الداخل ونادوا بشعارهم وقوضوا عن عسكره واتفق ان جادت السماء بوبل لا عهد بمثله لما شاء الله من التضييق على يوسف فاصبح وليس في عسكره سوى غلمانه وخاصته وقوم الصميل قيس واتباعه فاقبل الى طليطلة وقال للصميل ما الرأي قال بادره الساعة قبل ان يغلظ امره فاني لست آمن عليك هؤلاء اليمانية لحنقهم علينا فقال له يوسف وتقول ذلك ومع من نسير اليه وانت ترى الناس قد هربوا عنا وقد انفضنا من المال واذهبنا الظهر وسكنتها المجاعة في سفرتنا هذه ولكن نسير الى قرطبة فنستانف الاستعداد له بعد ان ننظر في امره ويتبين لنا خبره فلعله دون ما كتب الينا فقال الصميل الرأي ما اشرت به عليك وليس غيره وسوف تستبين غلطك فيما تركته ومضوا الى قرطبة وسار عبد الرحمن الداخل الى اشبيلية فتلقاه رئيس عربها ابو الصباح بن يحيى اليحصبي واجتمع الرأي على ان يقصد به دار الامارة قرطبة فلما نزلوا البطحاء قالوا كيف نسير بامير لا لواء معه ولا علم يهتدى اليه فجاؤوا بقناة رمح ليعقدوها عليه فكرهوا ان يميلوا القناة ليعقد فنظروا فاقاموها بين زيتونتين متجاورتين فصعد رجل على فرع احداهما فعقد اللواء والقناة قائمة كما سياتي وحكي ان فرتيب العالم صاحب الخبر كان مر بذلك الموضع فنظر الى الزيتونتين فقال سيعقد بين هاتين الزيتونتين لواء لامير لا يثور عليه لواء الا كسر فكان ذلك اللواء يسعد به هو وولده من بعده **ولما اقبل الى قرطبة** خرج له يوسف وكانت المجاعة نزلت قبل ذلك بست سنين فاورثت اهل الاندلس ضعفا ولم يكن عيش عامة الناس بالعسكر ما عدا اهل الطاقة منذ خرجوا من اشبيلية الا الفول الاخضر الذي يجدونه في طريقهم وكان الزمان زمان الربيع وسمي ذلك العام عام الخلف وكان نهر قرطبة حائلا لانسار يوسف من قرطبة واقبل ابن معاوية على بر اشبيلية والنهر بينهما فلما رأى يوسف تقدم عبد الرحمن الى قرطبة رجع مع النهر محاذيا له فتسايرا والنهر حاجز بينهما الى ان دخل يوسف بصحراء المصارة غربي قرطبة وعبد الرحمن في مقابلته وتراسلا في الصلح وقد امر يوسف بذبح الجزر وتقدم بعمل الاطعمة وابن معاوية اخذ في خلاف ذلك قد اعد للحرب عدتها واستكمل اهبتها وسهر الليل كله على نظام امره كما سنذكره ثم انهزم اهل قرطبة وظفر عبد الرحمن الداخل ونصر نصرا لا كفاء له وانهزم الصميل وفر الى شوذر من كورة جيان وفر يوسف الى جهة ماردة وذكر ان ابا الصباح رئيس اليمانية قال لهم عند هزيمة يوسف يا معشر يمن هل لكم الى فتحين في يوم قد فرغنا من يوسف وصميل فلنقتل هذا الفتى المقدام ابن معاوية فيصير الامر لنا نقدم عليه رجلا منا ونخلع عنه هذه المضرية فلم يجبه احد لذلك وبلغ الخبر عبد الرحمن فاسرها في نفسه الى ان اغتاله بعد عام فقتله **ولما انقضت الهزيمة** اقام ابن معاوية بظاهر قرطبة ثلاثة ايام حتى اخرج عيال يوسف من القصر وعف واحسن السيرة **ثم احتل** بدار الامارة ورحل مجد يوسف لم يستقر به قرار من فلات يوسف والصميل فخرج في اثر عدوه واستخلف على قرطبة القائم بامره ابا عثمان واستكتب كاتب يوسف امية بن زياد واستبد اليه اذ كان من موالي بني امية ونهض في طلب يوسف فوقع يوسف على خبره فخالفه الى قرطبة ودخل القصر وتحصن ابو عثمان خليفة عبد الرحمن بصومعة الجامع فاستنزله بالامان ولم يزل عنده الى ان عقد الصلح بينه وبين ابن معاوية وكان عقد الصلح المشتمل عليه وعلى وزيره الصميل في صفر سنة تسع وثلاثين ومائة وشارطه على ان يخلي بينه وبين امواله حيثما كانت وان يسكن بدار الحر منزله بشرقي قرطبة على ان يختلف كل يوم الى ابن معاوية ويريه وجهه واعطاه رهينة على ذلك ابنه ابا الاسود محمد بن يوسف زيادة على ابنه عبد الرحمن الذي اسره ابن معاوية يوم الوقعة ورجع العسكران وقد اختلطا الى قرطبة **وذكر ابن حيان** ان يوسف بن عبد الرحمن مكث سنة احدى واربعين ومائة فهرب من قرطبة وسعى بالفساد في الارض وقد كانت الحال اضطربت به في قرطبة ودس له قوم قاموا عليه في اموالهم زعموا انه غصبهم اياها فدفع معهم الى الحكام فاعنتوه وحمل هنته في التألم بذلك كلامه فدفع الى ابن معاوية اصاب عدا يوسف به السبيل الى الاستعانة والتخويف منه فاشتد نفوره فخرج الى جهة ماردة واجتمع اليه عشرون الفا من اهل الشتات فغلظ امره وحدثته نفسه بلقاء ابن معاوية فخرج نحوه من ماردة وخرج ابن معاوية من قرطبة فبينما ابن معاوية في حصن المدور يستعد اذ التقى بيوسف عبد الملك بن عمر بن مروان صاحب اشبيلية فكانت بينهما حروب شديدة انكشف عنها يوسف بعد بلاء عظيم منهزما واستحر القتل في اصحابه فهلك منهم خلق عظيم وسار يوسف لناحية طليطلة فلقيه في قرية من قراها عبد الله بن عمر الانصاري فلما عرفه قال لمن معه هذا الفهري يفر قد ضاقت عليه الارض وقتله الراحة له والراحة منه فقتله واحتز راسه وقدم به الى

عبد الرحمن

عبد الرحمن فلما قرب داود عبد الرحمن به امر ان يشوف فيه دون جسم قرطبة ولم يقتل واداه عبد الرحمن المحبوس عنده وضم الى راسه راسه ووضعا على قناتين مشهورين الى باب القصر وكان عبد الرحمن لما فر يوسف قد سجن وزيره الصميل لانه قال له ابن توجه فقال لا علم فقال ما كان ليخرج حتى يعلمك ومع ذلك فاني لذلك معه ولكنه عندي فوالله لو كان تحت قدمي هذه ما رفعتها لك عنه فاصنع ما شئت فحبسه امر به الى المجبرة وسجن معه ولدي يوسف ابا الاسود محمد المعروف بعد بالاعمى وعبد الرحمن فهما الحرمان من نقب فاما ابو الاسود فنجا سالما واضطرب في الارض يبغي الفساد الى ان هلك حتف انفه واما عبد الرحمن فاثقله اللحم فانبهر فرده الى الحبس حتى قتل لما تقدم ابنه الصميل من الحرب فاقام بمكانه فلما قتل يوسف دخل ابن معاوية على الصميل من حلقه فاصبح ميتا فدخل عليه مشيخة المضرية في السجن فوجدوه ميتا وبين يديه كاس ونقل كانه بعث على شربه فقالوا والله انا لنعلم يا ابا جوشن انك ما شربتها ولكن سقيتها **ومما** ظهر من بطش الامير عبد الرحمن بن معاوية وصرامته فتكه باحد دعائم دولته رئيس اليمانية ابي الصباح بن يحيى وكان قد ولاه اشبيلية ووقع في نفسه منه ما اوجب فتكه به **ومن ذلك** النوع حكايته مع العلاء بن مغيث اليحصبي اذ ثار بباجة وكان قد وصل من افريقية على ان يظهر الرايات السود بالاندلس ونحل في ناس قبيلين فارسي بناحيته بالجد ودعا اهلها ومن حولهم فاستجاب له خلق كثير الى ان لقي عبد الرحمن بجهة اشبيلية فهزمه وجد به وباعلام اصحابه فقطع يده ورجليه ثم ضرب عنقه وعنق اتباعه وامر فقرط الصكاك الاذان باسمائهم واودعت جوالق محشوا ومعها اللواء الاسود وانفذ بالجوالق تاجر من ثقاته وامره ان يضعه بمكة ايام الموسم ففعل ووافق ابا جعفر المنصور قد حج فوضعه على باب سرادقه فلما كشفه ونظر اليه سقط في يده واشتد على عبد الرحمن وقال عرضنا هذا البائس يعني العلاء للحتف ما في هذا الشيطان مطمع فالحمد لله الذي صير هذا البحر بيننا وبينه **ولما اوقع** عبد الرحمن باليمانية الذين خرجوا في طلب ثار رئيسهم ابي الصباح اليحصبي واكثر القتل فيهم استوحش من العرب قاطبة وعلم انهم على دغل وحقد فانحرف عنهم الى اتخاذ المماليك فوضع يده في الابتياع فابتاع موالي الناس بكل ناحية واعتضد ايضا بالبربر ووجه عنهم الى بر العدوة فاحسن لمن وفد عليه احسانا رغب من خلفه في المتابعة **قال ابن حيان** واستكثر منهم ومن العبيد فاتخذ اربعين الف رجل صار بهم غالبا على اهل الاندلس من العرب فاستقامت مملكته وتوطدت وقال ابن حيان كان عبد الرحمن راجح الحلم فاسح العلم ثاقب الفهم كثير الحزم نافذ العزم بريا من العجز سريع النهضة متصل الحركة لا يخلد الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ثم لا ينفرد في ابرامها برايه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الحدة قليل الطمانينة بليغا مفوها شاعرا محسنا سمحا سخيا طلق اللسان وكان يلبس البياض ويعتم به ويؤثره وكان قد اعطي هيبة من وليه وعدوه وكان يحضر الجنائز ويصلي عليها ويصلي بالناس اذا كان حاضرا الجمع والاعياد ويخطب على المنبر ويعود المرضى ويكثر مباشرة الناس والمشي بينهم الى ان حضر في يوم جنازة فتصدى له في مسيره فيها رجل متظلم عامي وقاح ذو عارضة فقال له اصلح الله الامير ان قاضيك ظلمني فانا استجير بك من الظلم فقال تنصف ان صدقت فمد الرجل يده الى عنانه وقال ايها الامير اسالك بالله لما برحت من مكانك حتى تامر قاضيك بانصافي فانه معك فوجم الامير والتفت الى من حوله من حشمه فراهم قليلا ودعا بالقاضي وامره بانصافه فلما عاد الى قصره كلمه بعض رجاله ممن كان يكره خروجه وابتذاله فيما جرى فقال له ان هذا الخروج الكثير ابقى الله الامير لا يجمل بالسلطان العزيز وان عيون العامة تخلق بجلالته ولا نأمن بوادرهم عليه فليس الناس كلهم هدرا فترك من يومئذ شهود الجنائز وحضور المحافل ووكل بذلك ولده هشاما **ومن نظم** عبد الرحمن الداخل ما كتب به الى اخته بالشام

ايها الراكب الميمم ارضي ° اقر مني بعض السلام لبعضي ° ان جسمي كما تراه بارض ° وفؤادي ومالكيه بارض
قدر البين بيننا فافترقنا ° وطوى البين عن جفوني غمضي ° قد قضى الدهر بالفراق علينا ° فعسى باجتماعنا سوف يقضي

وكتب الى بعض من وفد عليه من قومه لما سأله الزيادة في رزقه واستقل ما قابله به وذكر بحضرته الابيات

شتان من قام ذا امتعاض ° منتضي الشفرتين نصلا ° فجاب قفرا وشق بحرا ° مساميا لجة ومحلا
وبز ملكا وشاد عزا ° ومنبرا للخطاب فصلا ° وجند الجند حين اودى ° ومصر المصر حين اجلى
ثم دعا اهله اليه ° حيث انتأوا ان هلم اهلا ° فجا هذا طريد جوع ° شريد سيف يخاف قتلا
فنال امنا ونال شبعا ° وحاز مالا ونال اهلا ° الم يكن حق ذا على ذا ° اعظم من منعم ومولى

وحكى ابن حيان ان عبد الرحمن لما اذعن له يوسف صاحب الاندلس واستقر ملكه استحضر الوفود الى قرطبة فاتتها للسلام والى القعود لهم في قصره عدة ايام في المجالس يكلمهم فيها ويسائلهم ووجوههم بكلام سرهم فيه وطيب نفوسهم مع انه كساهم واطعمهم ووصلهم فاذعن قوي العصية مخبور من نفسه من بين يديه يتدارسون كلامه ويتهادون ويشكرونه ويتباهون بنعمة الله عليهم فيه وفي بعض مجالسه بهذه مثل بين يديه رجل من جند قنسرين يستجديه فقال له يا ابن الخلائف الراشدين والسادة الاكرمين اليك فررت وبك عذت من زمن ظلوم ودهر غشوم قلل المال وكثر العيال وشعث الحال فصير الى نداك المال وانت ولي الحمد والمجد المرجو للرفد فقال له عبد الرحمن مسرعا قد سمعنا مقالتك وقضينا حاجتك وامرنا بعونك على دهرك على كرهنا لسوء مقامك فلا تعودن ولا سواك لمثله من اراقة ماء وجهك بتصريح المسألة والالحاف في الطلبة واذا ألم بك خطب او حزبك امر فارفعه الينا في رقعة لا تعدوك كيما نستر عليك خلتك ونكف شمات العدو بعد رفعك لها الى مالكك ومالكنا عز وجهه باخلاص الدعاء وصدق النية وامر له بجائزة حسنة وخرج الناس يعجبون منه من حسن منطقه وبراعة ادبه وكف فيما بعد ذلك من الحاجات عن مقابلته بها مشافهة في مجلسه

King Saud University
Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1